الفصل السادس

الألفاظ الجديدة في بواكير الوحي
سورة المدّثّر

في عام 1996 دعوتُ في أكاديمية أوكسفورد إلى مؤتمرٍ أقمناه في كوالالامبور بالاشتراك مع الجامعة الإسلاميّة العالمية في ماليزيا تحت عنوان (اللغة العربيّة أمام تحدّيات القرن الحادي والعشرين)، وعرضتُ في الورقة التي قدّمتها للمؤتمر نصّاً مأخوذاً من مقالٍ منشورٍ في صحيفة الشرق الأوسط، لأثبت أنّ معظم كلمات هذا النصّ غير موجود في معاجمنا، القديمة منها أو الحديثة.

وكان بين المشاركين في المؤتمر الدكتور عبد الله الدنان[1]. وأذكر أنّه عرض علينا مقطعاً صغيراً آخر متحدّياً لغويّينا القدماء، لو بُعثوا من قبورهم، أن يفهموا منه شيئاً. ومن وحي النصّين، ومن واقع حياتنا اللغويّة اليوميّة، وضعتُ الإعلان الافتراضيّ التالي الذي أقترح أن نقرأه معاً قبل أن أخوض معكم في أعماق هذا الفصل:

تعلن مصلحة المواصلات والبرق والهاتف عن تعيين موظَّفين إداريّين

(1) هو عبقريّةٌ لغويّةٌ نادرة، أشرف على تحرير لغة البرنامج العربيّ - الأمريكيّ (افتح يا سمسم) ثمّ صدمته رغبة الشركة المنتجة في إصدار القسم الثاني من البرنامج باللهجات العربيّة العامّية الأربع، بحجّة أنّ الفصحى صعبةٌ على الطفل، فقرّر بعد ذلك إنجاب ابنٍ آخر نشّأه منذ ولادته على ألّا يكلّمه إلا بالفصحى وترك لأمّه أن تخاطبه بالعامّية، وأثبتَ بهذه التجربة، وبشكلٍ مذهل، سهولة تعلّم الفصحى على الأطفال وحبّهم وإتقانهم لها وشغفهم بعد ذلك بقراءة كلّ ما يُنشر بها.

obeikan.com

وفنّيّين ومهندسين مدنيّين واختصاصيّين كهربائيّين من حمَلة الدرجات والشهادات الجامعيّة لوظيفة (مدير عامّ) في إداراتها ومكاتبها بالمحافظات. وعلى المرشَّحين تقديم أوراقهم الثبوتيّة ومعها طابعٌ ماليٌّ بمائة ريال/ جنيه/ ليرة، وذلك لأمين سرّ لجنة المقابلات الأستاذ جورج طربوش.

ينشر الإعلان في الصحف والمجلّات وفي مديريّات المصلحة والمؤسّسات الرسميّة ومجالس البلديّات والشركات الخاصّة والجامعات والمعاهد التطبيقيّة.

حاولوا معي الآن، بعد قراءتكم الأولى للإعلان، أن تضعوا أنفسكم مكان أولئك اللغويّين الكبار، واقرأوا الإعلان من جديدٍ، وبتأنٍّ وتمعّنٍ شديدين، مستحضرين في خيالكم مفردات اللغة التي عرفوها في عصرهم، وهي عمليّةٌ لن تكون بالسهولة التي تتصوّرونها، وأنا واثقٌ من أنّكم لن تفهموا منه في النهاية، لو نجحتم نجاحاً تامّاً في عمليّة الاستحضار، إلّا بضع أدواتٍ أو حروف جرٍّ وردت فيه.

الإعلان القرآنيّ:

وخلافاً لإعلان "مصلحة المواصلات"؛ لم يكن "الإعلانُ الإلهيّ" أو "البيان القرآنيّ" الذي طلع على العرب بين ليلةٍ وضحاها مجرد سيلٍ ضخمٍ من الألفاظ الجديدة داهمتهم وهم ينامون على ثروةٍ من المفردات التي لم تكن قد تغيّرت أو تجدّدت على مدى عقودٍ، وربّما قرون.

لقد كان الإعلان القرآنيّ يحمل لهم في تركيبته، إلى جانب المعجم اللفظيّ الجديد، سبائك لغويّةً لم يعرفوها من قبل، ولن يعرفوا مثلها من بعد، وتراكيبَ وتعبيراتٍ مختلفةً كلّياً عمّا ألِفوه، وأدواتٍ نحويّةً تحمل معاني واستعمالاتٍ جديدةً عليهم، وعلاقاتٍ لغويّةً لم يعهدوها في لغتهم، وصوراً بلاغيّةً وعلاقاتٍ بيانيّةً غريبةً على خيالهم، وأفكاراً تحمل أبعاداً تجاوزت بكثيرٍ حدود بيئتهم الثقافيّة المتوارثة.

obeikan.com

كلّ هذا التغيير الدراميّ المثير لم يستغرق أكثر من الوقت الذي استغرقه انصرافُ رجلٍ أمّيٍّ بسيطٍ من بيته، لم يكن قد سبق له طوال سنوات عمره الأربعين، أنْ قرأ أو كتب أو ألّف شيئاً، حتّى إن كان هذا الشيء مجرّد كلماتٍ أو أسطرٍ قليلةٍ بسيطة، ليخلو إلى نفسه سحابة يوم أو بعض يوم في غار حِراء على بُعد أميالٍ من مكّة، ثمّ يعود إلى قومه حاملاً إليهم القطرات الأولى من غيث الإعلان الإلهيّ الجديد وهو يقرأ عليهم بواكير سوَره المُنزَلة: ﴿اقرأ باسم ربِّكَ الذي خَلَق﴾ و﴿يا أيُّها المُدَّثِّرُ قُمْ فأَنْذِرْ﴾ و﴿يا أيُّها المُزَّمِّلُ قُمِ الليلَ إلّا قليلا﴾...

ما الأصداء التي يمكن أن نتوقّعها في نفوس العرب الجاهليّين أمام هذا "الفيضان اللغويّ" المفاجئ الذي دهمهم من حيث لا يتوقّعون؟ وكيف ستتعامل مخابرهم اللغويّة والثقافيّة المحدودة مع هذه الجرعة الهائلة من "الكمّ" و"النوع" التي تتكوّن منها طبقات النيزك اللغويّ الهابط عليهم من السماء؟

هل سيتوقّفون حائرين مرتبكين أمام نصوص "الإعلان الجديد" كما كان يمكن لسيبويه أن يتوقّف أمام إعلان مصلحة المواصلات وقد أَلبَس عليه بخزّانه اللفظيّ الجديد والمحيِّر؟ أم أنّ مشكلتهم ستكون أكثر عمقاً وأخطر أبعاداً وهم يواجهون "إعلاناً" تجاوزت خزّاناتُه حدود الألفاظ وحدها إلى آفاقٍ لا حدود لها من السبائك والتراكيب والتعبيرات والأدوات والعلاقات والصور والأفكار والبِنية الحضاريّة الجديدة؟

الألفاظ الجديدة في (المدّثّر):

وعلى خطورة أن يواجِه الإسلامُ العربَ، منذ الأيّام الأولى من الرسالة، بألفاظٍ لم يسمعوا بها من قبل، وما قد تحمله هذه الصدمة من نتائج ربّما تنعكس سلباً على فهمهم للدّين، وعلى تَقبُّلِهم للعبارات الأولى من رسالة السماء، فإنّ القرآن، وبثقةٍ لا نظير لها، لم يتجنّب مثل هذه الألفاظ الجديدة والمصطلحات الغريبة على العرب حتى في تلك الآيات والسوَر المبكّرة التي نزلت على نبيّه الكريم.

وهكذا نجد سورة (المدّثّر)، وهي إحدى السوَر الأوائل التي واجه بها الوحيُ العرب، مشحونةً بمثل هذه الألفاظ والمصطلحات والأدوات الجديدة.

ومن السهل علينا أن نعثر فيها، وهي تقلّ عن صفحتين ولا تزيد عن 256 كلمة، على ما لا يقلّ عن 84 لفظاً جديداً، أي ما يقرب من ثلث ألفاظها.

من هذه الألفاظ ما لا يقلّ عن 14 لفظاً جاءت جديدةً تماماً على العربيّ، إمّا كلّيّاً، بجَذرها وبنائها ومعناها معاً، وإمّا جزئيّاً؛ أي ببنائها ومعناها مع معرفة العرب لجذر هذا البناء من قبل، وهي:

- **الرُجْز** (مصطلحٌ جديد: أي الأصنام، أو العذاب)
- **الناقور** (صيغةٌ جديدة: وهو الصُوْر الذي يَنفُخ فيه إسرافيل)
- **صَعُودا** (صيغةٌ جديدةٌ ومعنىً جديد، وقيل إنّه اسمٌ لجبلٍ في جهنّم)
- **بَسَرَ** (لفظٌ جديد: أي كَلَح وجهُه وتَغيّر)
- **لوّاحةٌ** - **للبَشَر** (معنىً جديد، أي: مُغيِّرةٌ للون الجلد "البَشَرة"، أو: ظاهرةٌ للناس "البَشَر")
- **ملائكة** (لفظٌ جديد، من: ألَكَ، أي أرسَلَ)
- **أوتوا** (صيغةٌ جديدةٌ ومعنىً جديد: أي أُعطُوا)
- **الكُبَر** (جمعٌ جديدٌ لكُبرى)
- **المجرمين** (صيغةٌ لم يعرفها الشعر الجاهليّ بهذا المعنى)
- **سَلكَكم** (صيغةٌ جديدة: أي أدخَلكم)
- **سَقَر** (لفظٌ جديد: أي جهنّم)
- **مستَنفِرة** (صيغةٌ جديدةٌ ومعنىً جديد: أي هاربةٌ أو مذعورة)
- **قَسْوَرَة** (لفظٌ جديد: أي أسد، أو: رماة القِسيّ أو الأقواس)
- **المَغفِرة** (صيغةٌ جديدة)

الألفاظ القديمة في معنىً جديد:

أمّا لو بحثنا في السورة عن الألفاظ التي عرفها العرب قبل الوحي ولكنّها حملت في القرآن معنىً جديداً، أو استُعملت استعمالاً مخالفاً، أو حلّت محلّ ألفاظٍ أخرى، فسنجد منها ما لا يقلّ عن 38 لفظاً، وهي:

- قُم (أي ابدأ وباشِر)
- فأنذِرْ (أي بَلِّغ الرسالة)
- فكبِّر (أي اعبدْه وعظِّمه)
- ولربِّكَ (أي من أجل حمل دعوته)
- نُقِرَ (أي أُحدث صوتٌ هائل)
- وحيداً (حلّت محلّ: وحيدَين)
- ممدوداً (حلّت محلّ: كثيراً)
- ومَهّدتُ (أي جعلتُ حياته سهلة، حُذِف المفعول)
- عنيداً (حلّت محلّ: معانداً)
- فقُتِل (صيغةٌ دعائيّةٌ جديدةٌ، أو: إنباءٌ مُسبَقٌ بقتله أو عذابه)
- قَدَّر (حلّت محلّ: أعطى رأياً، أو: أصدرَ حُكماً)
- يُؤْثَر (حلّت محلّ: يُدرَس، أو يُتوارَث)
- لا تُبقي (أي لا تُبقي شيئاً، حُذف مفعوله)
- ولا **تَذَرُ** (أي لا تترك أيّ شيء، حُذف المفعول)
- **عليها** تسعةَ عشَر (حلّت "على" محلّ: يتولّى أمرَها)
- أصحابَ النار (حلّت "**أصحاب**" محلّ: خَزَنة أو حرّاس)
- عِدَّتَهم (حلّت محلّ: عددهم)
- فِتنةً (حلّت محلّ: اختباراً صعباً، وقيل: عذاباً)
- ليستيقن (أي يؤمن بالإسلام)
- مرضٌ (أي شكٌّ، أو: نفاق)

obeikan.com

- مَثَلاً (أي: عِظَةٌ أو حديث)
- ذكرَى (حلّت محلّ: تذكير)
- يتقدّم (حلّت محلّ: يؤمن، أو: ينجو)
- يتأخّر (حلّت محلّ: يَكفُر، أو: يَهلك)
- كَسَبَتْ (حلّت محلّ: عملتْ أو ارتكبت)
- رهينةٌ (حلّت محلّ: مسؤولة، أو محاسَبة)
- أصحابَ **اليمين** (حلّت "اليمين" محلّ: الحقّ، أو الفوز)
- جَنّاتٍ (أي: جنّة الله أو الفردوس، وليس حدائق الدنيا)
- يتساءلون (حلّت محلّ: يسألون، أو يوجّهون سؤالاً)
- المِسكين (معنىً جديد، وقد عرفها العرب بمعنى: شديد السكون)
- نخوضُ (أي: نتحدّث بالسوء)
- الخائضين (معنىً جديد، أي: المتحدّثين بالسوء)
- **نكذِّبُ بيومِ** الدِّين (حلّ "نكذّب بـ" محلّ: نكذّبه أو ننكره)
- بيومِ **الدِّين** (أي: الحساب)
- أتانا **اليقين** (أي: الموت، أو: القيامة)
- عن **التذكِرة** (حلّت محلّ: السماع للدعوة الجديدة)
- هو **أهلُ** التقوى وأهلُ المغفِرة (حلّ "**أهل**" في المرّتين محلّ: أهلٌ لـ، أو: صاحب)

وحين نتفحّص هذه الألفاظ، الجديدةَ بمعناها والقديمة بلفظها، نجد أنّ كثيراً منها قد اكتسب معناه الجديد من علاقته بالألفاظ التي تحيط به، أو من السياق الذي أتى فيه والذي لا يمكن تجريده منه أو فصله عنه.

فما كنّا لنعرف أن معنى (لربِّكَ) في السورة هو (من أجل دعوة الإسلام) لولا دلّ عليه السياق (ولربِّكَ فاصبِر).

وما كنّا لنعرف أنّ معنى (أصحاب) في السورة هو (حرّاس) أو (خزَنة)،

obeikan.com

وليس المالكين والمتصرّفين كما هي في لغتنا، لولا السياق الذي وردت فيه: (وما جعلنا أصحاب النار إلّا ملائكةً وما جعلنا عِدَّتَهم إلّا فتنةً).

ولو جُرِّد اللفظ (مرضٌ) من سياقه ما كنّا لنعرف أنّه جاء بمعنى (الشكّ أو ضعف الإيمان) وليس المعنى المعروف للمرض.

وما كنّا لنعرف أنّ معنى (اليمين) هو (الحقّ) أو (الفوز) لو تجرّد هذا اللفظ من الآية التي ورد فيها، وهكذا..

وإذا كان للّغويّين أن يختلفوا حول حقيقة إيجاد القرآن لألفاظٍ جديدةٍ بلفظها ومعناها، وقد عرفنا كيف كان خلافهم مبنيّاً على مخاوف وهميّةٍ أثارها المنكِرون لحقيقة التجديد القرآني، فكيف يمكن أن يختلفوا في حقيقة إيجاد القرآن لهذا النوع الآخر من الألفاظ؛ أي الألفاظ القديمة التي أعطاها القرآن معنىً جديداً. بل، إذا كان لهم أن يختلفوا على هذا الجانب التجديديّ الآخر، فكيف لهم أن يختلفوا على حقيقة استقلاليّة التعبير القرآنيّ، أو على فَرادة السبائك اللغويّة القرآنيّة وجدّتِها واستعصائها على التقليد؟

المصطلح الجديد في (المدّثّر):

وكثيراً ما تدخل الألفاظ القرآنيّة الجديدة في مرحلةٍ أكثر تطوّراً واستقراراً بحيث تأخذ شكل المصطلح، وهي ألفاظٌ قد تَخفى علينا، أوّل وهلة، حقيقةُ جِدّتها وقرآنيّتها نتيجةً لتداولها الواسع اليوم وشيوعها على ألسنتنا. فقد غدت هيكلاً أساسيّاً في بناء لغتنا الإسلاميّة الجديدة التي هيمنت منذ ذلك الوقت المبكّر على لغتنا الرسميّة واليوميّة.

وفي سورة (المدّثّر) العديد من المصطلحات القرآنيّة المبتكرة التي لم يعرفها العرب قبل القرآن، مع التأكيد من جديدٍ على ضرورة تجريد ذاكرتنا من تأثير القرون المتوالية من الاستعمال إذا كان لنا أن نكتشف كيف استقبل العرب الأوائل مجيء الوحي بمثل هذه الأعداد الكبيرة من المصطلحات الجديدة، وكيف استطاعوا بعد ذلك أن يفهموها من خلال سياقها مع حداثة المفهومات الإسلاميّة الطارئة عليهم. ولو لم نقم بمثل هذه العمليّة التجريديّة

لسقطنا في مصيدة الألفة، ولقلنا لأنفسنا: وأين الجديد في هذا المصطلح أو اللفظ؟ أو أين المشكلة في فهمه؟

وبإمكاننا العثور في (المدّثّر) على ما لا يقلّ عن أحد عشر من هذه المصطلحات الإسلاميّة الجديدة، وهي:

- المدّثّر (لقبٌ للنبيّ، وهي في الأصل اللغويّ بمعنى: الملتفّ بثيابه)
- كفروا (أي رفضوا دعوة الإسلام، وهي في الأصل اللغويّ بمعنى: غطّوا، أي أغلقوا عقولهم وقلوبهم)
- آمنوا (أي اعتنقوا الإسلام، وهي في الأصل اللغويّ بمعنى: صدّقوا)
- إيماناً (أي إسلاماً، وتعني في الأصل: تصديقاً)
- المؤمنون (أي المسلمون، وتعني في الأصل: المصدِّقون)
- الكافرون (أي المشركون، وتعني في الأصل: المنكرون، أو الذين غُطّيت عقولهم)
- يُضِلّ اللهُ (يمنع عنه الإيمان، وتعني في الأصل: يضيّعه)
- ويَهدي (ينعم عليه بالإيمان، وتعني في الأصل: يدلّه على الطريق)
- جنود ربِّك (مصطلحٌ بمعنى الملائكة)
- المُصَلّين (وهم المؤمنون، أي المؤدّون لصلواتهم الخمس)
- التقوى (مراقبة الله لاتّقاء عذابه، وهي في الأصل بمعنى التجنّب واتّقاء الأذى)

اللفظ البيانيّ في (المدّثّر):

وهناك أخيراً الألفاظ التي اكتسبت جِدّتَها من الشحنة البيانيّة أو التصويريّة التي تضمّنتها، وهي شحنةٌ قوامها التشبيه أو العلاقة المجازيّة بين الكلمة وما حولها من الكلمات. وفي سورة (المدّثر) من هذا النوع سبعة ألفاظٍ على الأقلّ:

- وثيابَكَ فطَهِّرْ (أي: نفسَك أو روحك، يُقال: فلانٌ نقيّ الثوب، أي عفيف)

- سأُرهِقُه **صَعودا** (أي عذاباً كالصُعود في الجبل، أو الجبل شديد الصعود)
- ﴿**والرُجْزَ** فاهجُرْ (أي الأصنام التي تؤدّي إلى الرُجز، وهو العذاب)
- ﴿ثمّ **أَدبَر** (أي غيّر رأيه وكفرَ بعد تصديق، فكأنّما رجع إلى الوراء)
- ﴿سأُصليه **سَقَر** (أي أعذّبه بالنار الموجودة في سَقَر أي في جهنّم)
- ﴿كَفروا (بمعنى: غطّوا، أي كأنّما غُطِّي على عقولهم. ويدخل مع مشتقّاته في باب المصطلح الجديد أيضاً كما سبق أن رأينا)
- ﴿والصبحِ إذا **أَسفَر** (كأنّ الفجر استتر بالليل ثم كشف عن وجهه)

الاستعمال الجديد للأدوات في (المدّثّر):

وإلى جانب الألفاظ الجديدة التي شُحنت بها سورة (المدّثّر)، وبأنواعها المختلفة، من السهل أن نكتشف فيها ما لا يقلّ عن أربعة عشر استعمالاً جديداً للأدوات القديمة، كما رأينا في استعمال (كان) و(ما زال).

فحرف العطف (الفاء) لم يأتِ في مكانه كما عهدناه في لغتنا؛ أي بين فعلين أو اسمين ليَعطف ثانيَهما على أوّلهما، بل جاء، وفي ثلاث آياتٍ متتالية (3 - 5)، بين المفعول المتقدّم وفعلِه المتأخّر عنه: (وربّكَ فكبِّر. وثيابَكَ فطهِّر. والرُجْزَ فاهجُر)، ثمّ مرّةً أخرى بين المتعلِّق والمتعلَّق به: (ولربك فاصبِر).

وأداة الجواب (كلّا) التي نعهدها في لغتنا العاديّة بمعنى (لا) جاءت بمعنى الزجر أو الردع أو ربّما (حقّاً) في أربع آياتٍ من السورة: (16، 32، 53، 54).

وحرف العطف (ثمّ) جاء، أوّل مرةٍ في لغتنا، يحمل معنى المبالغة والتأكيد وليس مجرّد ربط كلمةٍ أو جملةٍ لاحقةٍ بأخرى سابقة، وذلك في الآية (20): (فقُتِلَ كيف قَدَّر. ثمّ قُتِلَ كيف قَدَّر).

ثمّ لاحظ أنّ اسم الاستفهام (كيف) في الآيتين لا يحمل، في رأينا، معنى الاستفهام، كما هو في لغتنا العاديّة، ولا معنى الحاليّة الذي يتضمّنه

عادةً، بل جاء أقرب إلى الحرف المصدريّ، فكأنّه يؤوَّل مع الفعل بعده بمصدرٍ في موضع نائب فاعلٍ، والتقدير: (قُتِل تقديرُه)، أو في تأويلٍ آخر: (قُتِل جزاء تقديره)، فلا مكان، على هذا، لمعنى الحاليّة أو الاستفهام في الآيتين.

والأداة (إنْ) تأتي بمعنى (ما) أو (ليس) في الآيتين (24 - 25): (فقال إنْ هذا إلّا سِحْرٌ يُؤْثَر. إنْ هذا إلّا قولُ البَشَر) أي: (ما هذا)، وهي ظاهرةٌ فريدةٌ وكثيرة الانتشار في القرآن تشبه في حجمها وغرابتها ظاهرة (كان)، ولم أجدها في الشعر العربيّ مطلقاً، وكلّ ما استشهد به النحاة لإثبات وجودها في لغتنا العاديّة كان جملةً أو جملتين نسبوهما إلى بعض العرب. يقول ابن هشام "وسُمع من أهل العالية (إنْ أحدٌ خيراً من أحدٍ إلّا بالعافية) و(إنْ ذلك نافعَكَ ولا ضارَّك)"[2].

ولا يمكننا الأخذ بجدّية مثل هذه الشواهد القليلة التي لا تُنسب موثقة إلى أشخاصٍ محدّدين، ولا سيّما أنّ النحويّين لم يأتوا، فيما أعلم، بشاهدٍ واحدٍ من الشعر أو الحديث النبويّ أو أقوال الصحابة على هذا الاستعمال، مع تأكيدنا من جديدٍ على تأثُّر العرب الحتميّ، بَدْواً وحَضَراً، بلغة القرآن الكريم، فلا يُعتدّ بما جاء على لسانهم بعد الإسلام من شواهد في معرض إثبات جِدّة لغة القرآن أو عدم جِدّتها.

وهكذا يتغيّر أيضاً معنى أداة الجرّ (عن) في الآية (41): (في جنّاتٍ يتساءلون. عن المجرمين. ما سَلَكَكُم في سَقَر). إنّ (عن) تبدو هنا وكأنّها زائدة، ومعنى الفعل (يتساءلون) قبلها يبدو أقرب إلى (يَسألون)، فغدا المعنى،

---

(2) الأنصاريّ، ابن هشام. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله. بيروت: دار الفكر، 1985، ص36. ومن المهم ملاحظة أنها تختلف عن (ما) النافية بارتباطها في القرآن دائماً بالأداة (إلّا) بعدها. والغريب أن عبد الخالق عضيمة في موسوعته الإحصائيّة اللغويّة والنحويّة الضخمة، وقد جاءت في 11 مجلّداً، أغفل تماماً الحديث عن وجود أو عدم وجود (إنْ) النافية خارج القرآن الكريم، إذ كان كلّ همّه في الكتاب هو رصد وإحصاء الحالات النحويّة في القرآن بغضّ النظر عن وجودها أو عدم وجودها في غيره.

وقد التفتَ الحديث بعدها من الغائب إلى المخاطب، أقرب إلى التعجّب منه إلى السؤال، أي: يسألون المجرمين: ما سلككم؟ ولم تُستعمل هذه الأداة قطّ على هذا النحو في لغتنا العاديّة.

ولا شكّ في أن وجود 84 لفظاً أومصطلحاً جديداً في سورةٍ قصيرة ومبكِّرة النزول كهذه، سيُحدث في نفوس من سمعوها أوّل مرّة ارتجاجةً شبيهةً بتلك التي أصابت عُتبة بن ربيعة وقد سمع من الرسول ﷺ الآيات الثلاث عشرة الأولى من سورة (فُصِّلت) فعاد إلى قومه، وهو اللغويّ البليغ، ذاهلاً لا يكاد يفقه شيئاً ممّا سمع.

فكيف لو أضفنا إلى هذه الشحنة الثقيلة من الألفاظ العناصرَ اللغويّة الأخرى الجديدة على عُتبة في السورة، ومنها عشرات التركيبات والتعبيرات والسبائك اللغويّة القرآنيّة، وعشرات الصور البلاغيّة والعبارات المنفتحة وجوامع الكَلِم، فضلاً عن الأبعاد الفكريّة والثقافيّة الجديدة التي تتقاطع مع كلّ هذه المستجدّات اللغويّة والبلاغيّة؟

obeikan.com